

**تاريخ العنب**

في التسمينيات، سافر مصورون وفنانون إلى بلدان عالمية للبحث عن صور فوتوغرافية ومجموعات حيث تقيم الجاليات العربية واللبنانية تحديداً كانت تلك المرحلة الأولى في بناء أرشيف «المؤسسة العربية للصورة» الذي وصل إلى 500 «غرض صوري». تطلق إحدى أكبر مؤسسات الأرشيف المصري في العالم العربي منضمها الإلكترونية بالتزامن مع عيدها الثاني والعشرين. ليست المنصة وحدها الحدث بذاته. يتجاوز المنظمون فكرة عرض المجموعات لديهم، إلى إعادة التفكير في مفهوم الأرشيف، وادوات الحفظ، وكيفية خلق نقاشات سياسية وفنية وتاريخية معاصرة حول الصور وممارسات الأرشيف. أمام التحولات الرقمية السريعة، أسئلة كثيرة تثيرها هذه التجربة الجديدة للمؤسسة، ماذا يعني أن تملك مؤسسة ما اليوم مجموعات فوتوغرافية للمنطقة منذ ستينيات القرن الثامن عشر إلى اليوم؟ كيف يمكن تضمينها عبر الفضاء الرقمي؟ وكيف يمكن قراءة هذه الوثائق بوصفها مواد حية لا قطعاً من الماضي؟

**22 سنة من حفظ التراث الفوتوغرافي وإحيائه**

**«المؤسسة العربية للصورة»: منصة رقمية تبتكر المستقبل**

**رواة عز الدين**

تحتوي «المؤسسة العربية للصورة» 500 ألف وثيقة بصرية من صور، وفيديوهات، وثيغرافيات، وأفلام وأغراض من استديوهاوت فوتوغرافية ووثائق أخرى جغرافياً، تجاوزت المجموعة حدود لبنان، لتشمل المنطقة العربية، وشمال أفريقيا وبلدان الشتات العربي منذ ستينيات القرن الثامن عشر إلى اليوم. مع ذلك، لا يمكن فصل هذه التجربة عن مرحلة ما بعد الحرب، إذ إنها لم تنصر النور ربما إلا بفضل أسئلة تلك المرحلة، ضمن التوجه للمخالفين والباحثين نحو الذاكرة، ذاكرة الحرب تحديداً. لعل الصورة الفوتوغرافية كانت المجال الأمثل للعودة إلى التاريخ وفهمه، بصفتها وثيقة منه، إلى جانب قدرتها على تولد المعلومات والمعاني إلى ما لا نهاية مع مرور الزمن. أدى الأرشيف البصري والكتيب، بما يحويه من أحداث تاريخية بين الواقع والمختل دوراً أساسياً في هذه التجارب الفنية، التي أقامت قطيعتها مع تجارب الماضي لتعود إليه بطريقة. المؤسسة كانت واحدة



زهرة، المصرية، غير مؤرخة، طيبة تظهر بالجلاليت، مجموعة مامي برغان

والمهمات. لم تعد المؤسسة قادرة على استقبال مجموعات أخرى، لذلك تطلع إلى العمل على التحكم بالمجموعات التي تديرها، بالاعتماد على المواضيع والأجزاء والحقبات والمجمعات التي تغيب عنها. أما الخطوة الأبرز، فتتمثل بالمنصة الرقمية التي تطلق اليوم، بدعم من «أفاق» و«مؤسسة فورد» والسفارة الترويجية في لبنان.

**تحتوي على 25 ألف صورة لم تعرض من قبل، وتشكّل 5% من مجموعات المؤسسة**

مع الوقت كتسبب الأرشيف معاني جديدة من المكان أو الفضاء الذي يحويه. يعود هذا إلى أول أشكال الأرشيفات في المدن الإغريقية التي كانت تفرّض عزل الأرشيف العام في أماكن خاصة، بعيداً عن أعين الناس. إشكالية بددها العصر الرقمي الذي جعل الحدود بين الخاص والعام أكثر ضبابية، بينما عمت بدور الأرشيف ومفهومه في وقت لم يعد يمكن فيه اللحاق بسرعة تراكمه بوتيرة تجعل من حيوات الناس الخاصة، الوثائق المستقبلية العامة. بعد إغلاق المؤسسة لحوالي ثلاث سنوات، تاتي المنصة الرقمية لتشريع هذه الصور أمام الناس مجدداً «على هذا الأساس وضعنا برامج متعددة وادوات جديدة بهدف الوصول إلى جمهور أوسع، ويهدف فهم دور المؤسسة». لكن ما التوجه الذي ينبغي للمؤسسات الأرشيفية اتباعه لرقمنة وثائقها، خصوصاً إذا كانت ذات طبيعة مادية كالصور مثلاً؛ الخطوة الأولى لرقمنة أرشيف المؤسسة بدأت عام 1997، بتبعتها رقمنة مجموعات كبيرة من الصور بين 2009 حتى 2016، لكن ذلك تم بطريقة كلاسيكية، وفق معركتي، من خلال قرض الصورة حسب إظهارها، أي الاكتفاء بما كانت تظهره عداست المصورين. كان على المؤسسة أن تبحث عن أساليب جديدة للانتقال

التي تتعدى 300 مجموعة. هناك أيضاً 35 ألف صورة، ستحل على مراحل لاقعة، فيما يسعى القائمون إلى رقمنة 15 ألف غرض سنوياً، بهدف إتاحة كل المجموعات للجمهور. هكذا حرص القائمون على تمثيل كل مجموعة من خلال 3 أغراض صورية، ستعرض ضمن قسم «المجموعات» التي تنتدج بين أساليب التصوير المختلفة، وموادها مثل النسيج، والزجاج، والمطبوعات. أمام كل هذه التمايزات، بالإضافة إلى المناطق والمواضيع والوجه التي تحويها الصور، كيف ستم أرشيفتها؟ يشرح مارك أن تقسيم المجموعات على المنصة يخضع للتقسيم المادي للصور، والذي يعتمد على وسعت من محتوى الصورة. هكذا صارت تتسع لدلائل وعلامات أخرى، مثل المعلومات والعلامات التي يكتبها أصحاب المجموعات على الوجه الخلفي مثلاً، والنحولات المادية والتفاعلات الكيميائية التي تصب هيكلها مع الوقت... خبرنا معركتي أن الصورة تؤخذ كما هي الآن بكافة أوجهها وجوانبها. إذ يتم تصوير الشغائيف نفسه، قبل ظهوره، بالإضافة إلى تركيز الأضرار والتدخلات المشربية فيها، بهدف استخراج الكمية الأكبر من المعلومات. كل هذا سيضاف إلى المعلومات الوثائقية عن المجموعات وطريقة وصولها إلى المؤسسة، وتواريخها وممارسات مصوريها التي سترقى مع المعروضات باللغتين الإنكليزية والعربية أسلوب جديد يحيي الجانب المادي للصورة داخل الفضاء الرقمي الذي كان أول ما فعله التخلي عن جسمها الملموس، في مرحلتها الأولى، ستحوي المنصة الرقمية 25 ألفاً من هذه الصور لم تعرض من قبل، وتشكّل 5% من مجموعات المؤسسة

راقصة مصر، حوالي 1940-1950، طيبة تظهر بالجلاليت، مجموعة المؤسسة العربية للصورة، صور الحلف نشر بإذن من المؤسسة العربية للصورة

متاحاً لهم لتقديم معلومات عن الصور، إن أرادوا، عبر نوافذ محددة لا تتيحها المؤسسة قبل التأكد منها.

**ممارسات الأرشيف**

من خلال مبادرة MEPEE بالتعاون مع «معهد غيتي للحفظ» و«متحف متروبوليتان»، وجامعة Delaware، وحوالي 112 من مؤسسات الأرشيف في الشرق الأوسط، بدأت «المؤسسة العربية للصورة» بترجمة مصادر متخصصة في الأرشيف والصورة من الإنكليزية والفرنسية إلى العربية، وخلق أدواتها في الحفظ، وبناء حقل معجمي للكلمات التقنية باللغة العربية في السنوات الأخيرة، أحدثت المؤسسة تعديلات على المصطلحات، وأعدت النظر في طرق الأرشيف، بالتزامن مع التغييرات الرقمية. تسمية «الغرض الصوري» فرضت تغييراً في مفهوم الصورة، من خلال نظرة شاملة لا تقف عند الظاهر منها، من ناحية ثانية، بخبرنا معركتي، أن المؤسسة لن تكون مركزاً أرشيفياً فحسب، إنما مكان يطرح أسئلة نقدية جديدة، ماذا يعني أن تملك مؤسسة ما أرشيفاً شاملاً اليوم؟ كيف يمكن تفعيله؟ هل على المؤسسات استيراد الممارسات الأرشيفية من الخارج وفق مقاييس معترف بها عالمياً؟ هكذا تنصرف المؤسسة إلى البحث عن أدوات حفظ خاصة تناسب المنطقة والمعلومات التي يحويها الأرشيف في طرقها لحفظ الصور، لا تجري المؤسسة أي تدخل أو تعديل على الغرض، كتكفي بتنظيفها، قبل وضعها في غرف مبردة ولا يتم إخراجها إلا من أجل رفقتها، أو في حال مشاركتها ضمن معارض أو مناسبات. كذلك، ستعلن المنصة عن مواعيد الزيارات للعامة، التي ستكون مخصصة مرتين في الأسبوع بسبب قلة عدد العاملين في المؤسسة الذين يصل إلى ثمانية فقط. «أخترنا هوية للمؤسسة تجمع ما بين ممارسات الأرشيف وتحليلها وتقديمها وما بين الممارسات الفنية الحالية التي تسمح أن تستخرج حوارية معاصرة وفهم الحاضر». يأخذ القائمون في الاعتبار كل ما يأتي من مجموعات الصور خلال رحلتها ووصولها إلى المؤسسة، «لم تعد أولويتنا تقتصر على الحفاظ على ما تروى من الغرض الصوري. قد تختلف الأولوية بين غرض وآخر. أحياناً يكون الاهتمام بممارسة المصور، وأحياناً بالحقبة الزمنية... خصوصاً إن أحد أهم أهدافنا هو فهم ممارسات التصوير في المنطقة العربية وتطورها منذ اكتشاف تقنيات التصوير الأولى حتى اليوم». هنا لا يمكن الحديث عن تاريخ واحد للمنطقة العربية، إذ إن المنصة «تدعو إلى قراءة متنوّعة للثقافات والتواريخ المتعددة في المنطقة».

<http://www.arabimagefoundation.org>



تركيب صوري، زحلة، لبنان، 1936، طيبة تظهر بالجلاليت، مجموعة أيت ماركوكيان



بورنير امرأة، سليم أبو عر الدين، مصر القرن العشرين، تصوير رقمي لبيانييف، علي زجاج، مجموعة هبة ابو عز الدين



صورة دعائية تظهر تعديلات الرادها للصور، الفريدو بريك، المكسيك، غير مؤرخة، مجموعة هبة ابو عز الدين



طريف العنارة، اوجيت كوتار، بيروت، لبنان، 1914، صورة مجسدة زجاجية، مجموعة هبة ابو عز الدين



طريف العنارة، اوجيت كوتار، بيروت، لبنان، 1914، صورة مجسدة زجاجية، مجموعة هبة ابو عز الدين



فريد الأطرش في منزل، فاك لوب، القاهرة، مصر، 1959، مجموعة هبة ابو عز الدين